لسنا وحقّك حيص بي ... ص من الأعراب فِي الصميمِ .

ولقد كذبتُ عَلَى بحي ... رَ كما كذبتَ عَلَى تميمِ .

وإنما قيل لَهُ حَيْصَ بَيْصَ لأنه رأى العامّة يوماً فِي حركة مزعجة وأمر شديد فقال : مَا للناس فِي حيص بيص ؟ فبقي ذَلِكَ لقباً لَهُ . العرب تقول : وقع الناس فِي حيص بيص إذا كانوا فِي شدّة واختلاط وسمّوا ابنه هرج مرج وسمّوا ابنته دخل خرج . قال ابن خلّكان : قال الشيخ نصر ا بن مجلّي مشارف المخزن وَكَانَ من الثقات أهلِ السنّة : رأيت فِي المنام عليّ بن أبي طالب فقلت لَهُ : يَا أمير المؤمنين تفتحون مكّة فتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . ثُمّ يتمّ عَلَى ولدك الحسين يوم الطفّ مَا تمّ فقال لي : أما سمعت أبيات ابن صيفي فِي هَذَا ؛ فعلت : لا ! .

فقال : اسمعها منه ! .

ثمّ استيقظتُ فبادرت إلى دار حيص بيص فخرج إليّ فذكرت لَهُ الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف با : إن كَانَتْ خرجت من فمي أو خطّي إلى أحد وإن كنت نظمتها إلاّ فِي ليلتي هَذِهِ ثمّ إنه أنشدني من الطويل : .

مَلَكْنا فكان العَفْوُ مِنّا سَجيّةُ ... ولمّا ملكتم سال بالدّم أبطَحُ .

وحلّلتُمُ قتل الأسارّى وطالما ... غَدَونا عَلَى الأسرى نَمُنّ ونصفحُ .

وحَسبُكُمُ هَذَا التفاوت بيننا ... وكلّ إناء بالذي فِيهِ ينضحُ .

وتوفيّ الحيص بيص سنة أربع وسبعين وخمس مائة . وَكَانَ إذا سئل عن عمره يقول : وأنا أعيش مجاوفةً . وَكَانَ يزعم أنّه من ولد أكثم بن صيفي حكيم العرب . وَلَمْ يترك أبو الفوارس عقباً ومن شعره من الوافر : .

إذا شُورِكْتَ فِي حالٍ بدُونٍ ... فلا يغشاك عارٌ أو نفورُ .

تشارك فِي الحياة بغير خُلفٍ ... اْرِسْطاليسُ والكلب العقورُ .

ومنه من الخفيف : .

مِنّهُ الدُونِ فِي الرقاب حبالُ ... محُصَاتٌ كَأحْبُلِ الخُناقِ .

غيرَ أنّ التَحنيقَ مُردٍ وهذا ... ألَمٌ مع الدهر باقِ .

فإذا أخْفَقَ الرجاءُ من الدو ... نِ فأكْرِمْ بِذاكَ من إخفاقِ .

سَورةَ السمّ فِي التعزّز أوْلى ... من شِفاءٍ بالذُلّ فِي لدرياقِ .

ومنه من الخفيف : .

اضطرارُ الحُرّ الكريم إلى الدو ... نِ جاز غايةَ الإسرافِ .

لا يشين المجد المنيف ولا ين ... قص قدر الشريف فِي الإشرافِ .

هل يعاب العطّار يوماً إذا أص ... بَحَ ذا حاجة إلى كتّافِ .

لمّا ولي المستضيء الخلافة وخلع عَلَى وزيره عضد الدين أبي الفرج ابن رئيس الرؤساء خلع الوزارة دخل الحيص فأنشد قصيدة منها من الوافر : .

أقولُ وَقَدْ تَوَلىّ الأمْر حبرٌ ... وليٌّ لَمْ يَزَل أبداً تقيّا .

وَقَدْ كُشف الظلام بمستضيءٍ ... غدا بالخلق كلّهِمُ حفيّا .

وفاض الجودُ والمعروفُ حَتّى ... حسبناه حَباباً أو أتِيّا .

بَلَغْنا فوقَ مَا كنّا نُرَجّي ... هنيّاً يَا بني الدنيا هنيّا .

سألنا ا يَرْزُقُنا إماماً ... نُسَرّ بِهِ فأعطانا نبيّا .

فأجازه عنها القرية المعروفة بالمستطرفية من نواحي بهرس فقال فِيهِ من أبيات من الخفيف : .

يَا إمامَ الهدى عَلوْتَ عَلَى ... الجودِ بملءٍ من فضّة ونضارِ .

فوهبتَ الأعمارَ والأمنَ والبُلُ ... دانَ فِي ساعةٍ مَضَتْ من نهارِ .

فبماذا أُثني عَلَيْكَ وَقَدْ جاوزتَ فضل البحُورِ والأمْطارِ .

الحظيري الورّاق